التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والدعوة والفكر

الأخلاق
في الكتاب والسنة

المادة المقررة للمرحلة الرابعة / الكورس الثاني
قسم العقيدة والدعوة والفكر

مدرس المادة
الدكتور
أيسر فائق جهاد الحسني الآلوسي
التدريسي في قسم العقيدة والدعوة والفكر

مفهوم الأخلاق

إنَّ الاخلاق الاسلامية لها مفهوم واسع ؛لأنها تشمل علاقات الناس فيما بينهم ؛وأنَّها تمثل الجانب السلوكي في الاسلام؛ لذا سنتناول تعريف الاخلاق، ثم نبين ابرز سمات الاخلاق الاسلامية والفرق بين الاخلاق والسلوك واهمية هذا الجانب المهم من جوانب الاسلام.

أولاً: تعريف الاخلاق:

أ- تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً:

أما الأخلاق لغة: فهي مأخوذة من الخلق وهو السجية[1].

وأما الأخلاق اصطلاحاً: فقد عرف ابنُ مسكويه*علم الاخلاق بانه: (اصول يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها)[2]، وعُرِّف علم الأخلاق بتعريفات عدة من أهمها:

1- علم الأخلاق: هو جملة القواعد والأسس التي يعرف بواسطتها الإنسان معيار الخير في سلوك ما.

2- علم الأخلاق: هو علم تحديد معايير وقواعد السلوك، أو هي علم التعرف على الحقوق والواجبات.

3- علم الْأَخْلَاق: علم مَوْضُوعه أَحْكَام قيمية تتَعَلَّق بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تُوصَف بالْحسنِ أَو الْقبْح.

أما الأخلاق في نظر الإسلام: فهي عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه. ويتضح من

([1]) ينظر: المصباح المنير: الفيومي، "مادة خلق": 180/1، ومعجم مقاييس اللغة: ابن فارس، "مادة خلق": 214/2.

([2]) تهذيب الاخلاق : ابن مسكويه : 1 .

هذا التعريف أن الأخلاق في نظر الإسلام هي جمع شامل في منظور متكامل بين مصدرها وطبيعتها ومغزاها الاجتماعي وغايتها. والأخلاق مجموع من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه[1].

وفي ضوء هذه التعاريف يمكن القول بأنه ثمة فرق بين الأخلاق والدوافع من جهة، وبين الأخلاق والسلوك من جهة أخرى.

أما الفرق بين الأخلاق والدوافع فهو أن الأخلاق قابلة للمدح والذم مثل الصدق والكذب، بينما الدوافع لا تخضع لمدح أو ذم مثل الطعام والشراب، وأنَّ الدوافع والغرائز فطرية، أما الأخلاق فمنها ما هو غريزي قابل للتهذيب، ومنها مكتسب[2].

ب- اركان حسن الخلق:

إنَّ النظام الأخلاقي في الإسلام، وهو نظام واسع وشامل، لذا سوف نقتصر هنا على ذكر أركان حسن الخلق التي بها تحسن علاقات الناس ويعم الأمن والاستقرار بينهم، وهي أركان يتفرع عنها جميع الأخلاق الأخرى، وقد ذكرها ابن القيم(رحمه الله تعالى) في مدارجه عندما قال:(وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: **الصبر والعفة والشجاعة والعدل، فالصبر:** يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة. **والعفة:** تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة. **والشجاعة:** تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى... **والعدل:** يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء... وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور

([1]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ،ط9، 2001م : 79.

([2]) ينظر: الأخلاق في الإسلام: المليحي : 19.

وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة... ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة)[1].

ج- الفرق بين الأخلاق وبين السلوك:

الفرق بين الأخلاق والسلوك، هو أنَّ الأخلاق هي معاني مستقرة في النفس، وفي ضوئها يكون السلوك فعلا أو تركا، ولهذا يقول عبد الكريم زيدان (رحمه الله تعالى): "إن الإنسان قبل أن يفعل شيئا أو يتركه، يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه"[2]، وأن السلوك ما يأتيه الفرد من نشاط في محيطه، محفزا بدوافعه الفطرية والبيئية على حد سواء [3]،وهو انعكاس للهيئات والصفات المستقرة في النفس[4] .

د- أهمية الاخلاق الاسلامية:

إنّ أهمية الاخلاق الاسلامية تكمن في كونها الركن المعنوي الذي يحدد سلوك الفرد ويعد بمثابة الروح لكل بناء إنساني سواء في مجال الأسرة أو المجتمع[5]، وبذلك يكون تأثيرها على السلوك الفردي على اعتبار أن التصرفات تابعة للمعاني والصفات المستقرة في النفس[6].

([1]) مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م: 294/2.

([2]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان: 80 .

([3]) ينظر: علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية: عبد علي الجسماني، مطبعة الخلود، بغداد، 1984م: 27 .

([4]) ينظر: النظم الإسلامية: البياتي : 68 .

([5]) ينظر: الأخلاق في الإسلام: المليحي : 75 .

([6]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 79.

وتتجلى أهميتها من خلال أمرين: الامر الأول: كثرة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على مكارم الأخلاق، مع تنوع مواضيعها، وتعدد معالجاتها لكثير من المشكلات الاجتماعية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، لذلك سنذكر بعضاً من تللك النصوص الكريمة والاحاديث الشريفة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﴾[2].

فالنص الأول يشير إلى التزكية الباطنة، والذي بعده يشير إلى الترجمة العملية للتزكية الباطنة. ومن الاحاديث التي تبين اهميتها :

قوله (ﷺ): **((إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))**[3]

ثانياً: أبرز سمات الاخلاق الاسلامية :

من أبرز سمات الاخلاق الاسلامية ما يأتي :

أ-الأخلاق الإسلامية جاءت بسمتي العموم والشمول، أما العموم، فإنَّ القرآن الكريم دعا إلى الأخلاق الكريمة دعوة عامة، قال تعالى: ﴿ **ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ** ﴾[4]، فالدعوة إلى الأخلاق الكريمة جاءت مفصلة كي لا يختلف الناس فيها، وتتداخل الأهواء في تحديد المراد منها[5]، وأما الشمول: فإنَّ دائرة الأخلاق الإسلامية واسعةٌ جدا، تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره أفرادا وجماعات[6]، وهي شاملة شمول الحياة[1]، وبذلك تكون صفة

([1]) سورة الشمس: الآية: 9 .

([2]) سورة العصر: الآية: 1-3 .

([3]) مسند الامام احمد:346/42،برقم (25537)،مسند عائشة رضي الله عنها، قال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح لغيره.

([4]) سورة الإسراء: الآية: 53 .

([5]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 89-90، والنظم الإسلامية: البياتي: 76.

([6]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 89-90، والنظم الإسلامية: البياتي : 76.

العموم والشمول للأخلاق الإسلامية خير معين على إشاعة الطباع الحميدة وترك الرذائل التي تحول حياة الفرد والجماعة إلى قلق واضطراب.

ب- الأخلاق الإسلامية جاءت بسمات الوسطية والاعتدال، والمثالية والواقعية:

والسبب في جمعها معاً، هو أن الوسطية والاعتدال تقتضيان المثالية التي لا تخرج عن الواقعية وطاقة الإنسان روحا وجسدا، أما الوسطية في الأخلاق فمعناها أن الإسلام وقف موقفا وسطا في نظرته إلى الطبيعة البشرية، فليست هي خيرا محضا ولا شرا محضا، وكذلك توسط في نظرته إلى متطلبات الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وبين من ينادي بالعزوف عن الدنيا وبين من يعتبر الدنيا غاية المنتهى[2].

وأما الاعتدال في الأخلاق فمعناها أن يتخذ الإنسان الوسط الذي ينأى به عن جانبي الإفراط والتفريط، فليس فيها من الأخلاق التي لا تطاق أو السائب الذي لا ينضبط[3]، وأما المثالية التي لا تخرج عن الواقعية، فمعناها الرقي بمستوى الإنسان إلى مراتب عالية مع الأخذ بنظر الاعتبار واقع الإنسان وقدرته، واختلاف الأفراد ومستوياتهم ضعفا وقوة، لذلك جاءت الرخصة مقابل العزيمة[4]، والغاية من ذكر هذه السمات جمعا هو إصلاح الإنسان وتحقيق المقصد الأسمى من الخلق، بالحث على مكارم الأخلاق والنهي عن أرذلها على مستوى الفرد والجماعة[5]، بما يحقق الأمن والاستقرار للجميع.

([1]) ينظر: الإسلام والتنمية الاجتماعية: محسن عبد الحميد : 141.

(2) ينظر: الأخلاق في الإسلام: كايد قرعوش واخرون، دار المناهج، عمان، ط2،،2001م: 58.

(3) ينظر: الاخلاق في الاسلام: المليحي : 148.

(4) ينظر: الأخلاق في الإسلام: كايد قرعوش واخرون : 55، والأخلاق في الإسلام: المليحي : 147.

(5) ينظر: الأخلاق في الإسلام: كايد قرعوش واخرون : 55 .

ج–لقد جاء الإسلام بسمة الجزاء على كل خلق من الأخلاق الحميدة وغيرها، وذلك ليكون الثواب دافعا لفعل المزيد من أعمال الخير والبر، ويكون العقاب زاجرا عن فعل الأخلاق الرذيلة[1]، وبذلك يصفو المجتمع ويعم الخير والسلام والاطمئنان للجميع.

لـ شئخ ذئ لآخ لإفـئ لأ ز لإ لي بـ

استكمل القرآن الكريم طرق الإلزام وأنواعها، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثم على قلبه وضميره، ونفسه وغرائزه، وطباعه وجسده، فانتزع الدواء من مكمن الداء، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصغائر، والأخلاق والآداب، وجعل الفرد رقيباً على نفسه وعلى المجتمع، وجعل المجتمع رقيباً على الفرد.

وعلى هذا تكون مصادر الإلزام الخلقي كما يلي:

(أ) المصدر الأول: القرآن الكريم :

وهو كتاب الله تعالى الذي نزل على النبي ﷺ بألفاظه ومعانيه ليكون «حجة للرسول على أنه رسول الله تعالى، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلاً عن جيل محفوظاً من أي تغيير أو تبديل.

وتشير المؤلفات في أصول الفقه وفي تفسير القرآن إلى احتواء القرآن على آيات تتصل بأحكام العقيدة، والأخلاق، والأعمال الصادرة عن المكلف، وهذه تسمى بالأحكام العملية، وتنتظم على فرعين: **العبادات والمعاملات**، ويمكن القول بأن القرآن باعتباره معبراً عن الإرادة الإلهية هو المصدر الأساسي للإلزام الخلقي، إذ أن آياته تنتظم على النحو التالي:

([1]) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 92، والأخلاق في الإسلام : كايد قرعوش واخرون: 33 ، والأخلاق في الإسلام: المليحي : 150.

– آيات الاعتقاد وهي تتعلق بما يجب على المكلف أن يعتقده في الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.

– آيات تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل ويتخلى عنه من الرذائل.

– آيات تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهي على نوعين: **العبادات:** (ويقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه)، **والمعاملات:** (ويقصد بها تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض سواء كانت علاقات أفراد أو أمم أو جماعات)، وهذه تضم أخلاقاً تتصل بالأسرة، والقضاء ونظام الحكم، ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين، كما تضم أخلاقاً تتصل بالنواحي المادية والاقتصادية.

وغاية الأمر، فإن القرآن يحتوى على النسق القيمي الإسلامي بأبعاده المتعددة، فهذا المصدر الأول للإلزام الخلقي. وهو جامع لكل ما يحتاج إليه البشر من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، والحكم البالغة لإصلاح خبايا النفس وشفاء أمراضها الباطنة وهداية واضحة للصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة. وهذا مقتضى قوله تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.

والقرآن كتاب الله سبحانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال الله تعالى:﴿ **هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ** ﴾. وقال:﴿ **ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾.

(ب) المصدر الثاني: السنة النبويّة:

وهى «ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير». فهي بهذا سنة قولية، وسنة فعلية وسنة تقريرية. وهى مكملة للكتاب وشارحة له، وقد أجمع

المسلمون على مر العصور على أن «ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين، ومصدراً تشريعياً يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين. أي أن الأحكام الواردة في هذه السنن تكون مع الأحكام الواردة في القرآن قانوناً واجب الإتباع».

ومع هذا فالسنة: «أصل في الاستنباط قائم بذاته». وقد أمرنا الله ﷻ بإتباع الرسول الكريم ﷺ في كثير من آيات القرآن، يقول الحق تبارك وتعالى:

- ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾.
- وقال تعالى: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ**﴾.
- وقال تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾.
- وقال جل ثناؤه: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ** ﴾.

وقد أوجب الله تعالى لأمته أمرين:

أحدهما: البيان، **والثاني:** البلاغ.

قال تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ** ﴾.

وأوجب للرسول ﷺ على أمته أمرين:

أحدهما: طاعته في قبول قوله، **والثاني:** أن يبلغوا عنه ما أخبرهم به.

كما قالﷺ: **((ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)).**

وقال ﷺ: **((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)).**

يقول الماوردي: ولما كان الرسول ﷺ لا يقدر أن يبلغ جميع الناس للعجز عنه اقتصر على إبلاغ من حضر لينقله الحاضر إلى الغائب، ولما لم يبق فيهم إلى الأبد

فكل من يأتي في عصر بعد عصر يأخذون بمن تقدمهم من عصر وينقلون إلى من بعدهم من عصر، لينقل عنه كل سلف إلى خلفه فيستديم على الأبد نقل سننه ويعلم جميع ما يأتي لشرائعه.

فصار نقل الأخبار عنه واجباً على أهل كل عصر وصار قبولها واجباً في كل عصر، فلذلك صارت الأخبار عنه أصلاً من أصول الشرع.

وكل هذا يؤكد المعنى الذي نريد وهو أن السنة الأصل الثاني أو المصدر الثاني من مصادر الإلزام الخلقي في الإسلام، لأن ما صدر عن الرسول ﷺ مما يتصل ببيان المنهج الإسلامي هو شرع متبع، وبالتالي يكون خلقاً من أخلاق الإسلام، وما صدر عنه بمقتضى طبيعته البشرية فهو ملزم إذا قام على ذلك دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء، وكذا ما صدر عنه بمقتضى الخبرة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية، أما ما صدر عنه ودل الدليل على أنه خاص به فلا يعتبر تشريعاً لعموم المسلمين. وعليه: فإن ما يثبت بدليل يقصد به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو من قبيل الإلزام، لأنه قانون يجب إتباعه.

ومهما يكن من أمر، فإن السنة زاخرة بالأخلاق، ولا غرو فهي حياة النبي ﷺ، والمجتمع الإسلامي المعاصر له، ولأنها مصدر تشريعي لهذه الحياة كانت بالتوجيه ملازمة للقرآن، وبالتالي فإن اعتبارها مصدر الإلزام الخلقي أمر واجب.

(ج) المصدر الثالث: الإجماع:

وهو «اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم شرعي في واقعة ».

ومعنى الاتفاق: الاشتراك إما في القول أو في الفعل أو الاعتقاد، والمقصود بأهل الحل والعقد المجتهدون في الأحكام. وإذا أجمعوا على فعل نحو أكلهم طعاماً دل إجماعهم على إباحته، كما يدل أكله عليه الصلاة والسلام على الإباحة، ما لم تقم قرينة دالة على الندب أو الوجوب.

والأدلة عليه في القرآن كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ**﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ...﴾.
- وقوله ﷻ: ﴿ **وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً**﴾.
- وقوله ﷻ: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا** ...﴾.
- وقوله ﷻ: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ...﴾.

ومن النصوص النبوية، قوله ﷺ: ((**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**)). وفي تفسير البخاري: أن الطائفة هم أهل العلم.

ودور الإجماع هو حسم مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي، أما الحياة المادية فليس له النظر فيها.

وعموم القول هنا، أن الإلزام الخلقي في الإسلام يستند إلى ما قرره الإسلام عن طبيعة الإنسان من حيث كونه حرّاً مختاراً وهدى إلى طريقي الفضيلة والرذيلة، ففي الإنسان من حيث كونه فاعلاً، عنصر أخلاقي بالمعنى الحق، وفي الأمر الخلقي عنصر آخر هو العقل والحرية، والمشروعية، وتلكم هي العوامل الأساسية في الالتزام الخلقي، ولذا كان القرآن يقف موقفاً دافعاً أمام عدوين خطيرين للأخلاق الإسلامية، **أولهما:** إتباع الهوى دون تفكير، **والثاني:** الانقياد الأعمى دون تمييز.

إذن فالإلزام الخلقي يقوم على مصدرين أساسيين أولهما: **النور الفطري**، والثاني: **النور الشرعي**. والأمر اختيار حر دنيوي ليس مفروضاً علوياً، ويرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيئ لملكاتنا وقدراتنا وهي ملكات يزكي تثقيفها النفس، كما يدسيّها ويطمسها إهمالها .

صلة الاخلاق بالعقيدة والعبادة

الاخلاق الاسلامية لها دور كبير في الحياة الإنسانية وذلك لسببين، السبب الأول: أنها تحمل خصائص الاسلام، والسبب الثاني: أن لها صلة وثيقة بالعقيدة من جهة، وبالعبادة من جهة اخرى.

إنّ الصلة الوثيقة التي تربط العقيدة بالعبادة من جانب، وتربط العقيدة والعبادة بالأخلاق من جانب أخر قد اثمرت سلوكاً ايجابياً للفرد والمجتمع، مما يصور الدور الكبير الذي تقوم به جوانب الدين الاسلامي الثلاثة في صياغة الانسان صياغة مرضية عند الله تعالى، واعادة بناء المجتمع الاسلامي من جديد وفقاً للرؤية الاسلامية، وبما يحقق الامن والاستقرار، ولذلك ان ذكر هذه الصلة هنا يأتي من اجل توضح مسالة واحدة وهي ان الاسلام منهج متكامل، وان هذه الضوابط التي يجب ان ينضبط بها الفرد والمجتمع انما هي حلقات متصلة ببعضها، إذ إنّ العقيدة تدفع للعبادة، والعبادة تقود الى السلوك الحسن والاخلاق الحميدة .

أ-: صلة الاخلاق بالعقيدة.

إنّ تقويم الأخلاق وتصحيح السلوك مرتبط بالعقيدة، وفي هذا يقول عبد الكريم زيدان(رحمه الله تعالى): (إن من وسائل تقويم الأخلاق هو الاهتمام الكامل بتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس، وعلى رأس هذه المعاني الإيمان بالله واليوم الآخر)[1]،وهذا ما نطق به القرآن الكريم، ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر، وقوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ ی ىٍ ي □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □
□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٿ

[1] أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 96.

ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ[1].

ولما للأخلاق من أهمية نجدها في جانب العقيدة إذ يربط الله ﷻ ورسوله ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق، ففي الحديث قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **((أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))** ثم إن الإسلام عدّ الإيمان براً، فقال تعالى:﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾، وقد قال النبي ﷺ: **((البر حسن الخلق))**، والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير.

ومن الأحاديث التي تبين هذه الصلة قوله (ﷺ): ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت))[2]، العقيدة تأتي لتثبت الأخلاق، وهو ضمان لها وثمرة من ثماره[3].

ب- صلة الاخلاق بالعبادة:

وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان، نجدها كذلك بين الأخلاق والعبادة إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها، لأنها أداء للواجبات الإلهية. ونجدها في المعاملات، وهي الشق الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحاً.

([1]) سورة الحجرات: الآية: 11-12.

([2]) صحيح مسلم: 50/1، برقم(185)، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت

([3]) صحيح مسلم: كتاب الايمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك من الإيمان: 69/1 برقم (48).

وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي، لتحقيق غاية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية.

وتعد العبادات من عوامل ضبط سلوك الأفراد، وفي هذا يقول عبد الكريم زيدان(رحمه الله تعالى): (ومن أنواع الأعمال الطيبة النافعة لتقويم الأخلاق هو القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة؛ لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة، وطرد الأخلاق الخبيثة)[1].

ومن الأدلة على هذه الصلة على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅۉ ۉ ې ې ې ې □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﴾[2]، فالصلاة والزكاة والحج والصوم عبادات تصفي النفوس ووسيلة لاكتساب الأخلاق الحميدة[3]،وعلى العموم، فإن العبادات في مجموعها متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند غاية واحدة، وهي الوصول بالإنسان إلى الكمال المنشود[4]، فالعلاقة الوثيقة بين العبادة والخلق توصل الإنسان إلى درجة المشاهدة والإحسان، فيعبد الله كأنه يراه[5].

آفزئلئ لآخلاقئ لأزلإلي ب

من خلال العرض السابق يتبين لنا أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين: (الأخلاق الفطرية، الأخلاق المكتسبة):

الأول: الأخلاق الفطرية:

([1]) ينظر: النظم الإسلامية: البياتي : 74.

([2]) سورة العنكبوت: الآية: 45 .

([3]) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : 98.

([4]) ينظر: خلق المسلم: محمد الغزالي : 9 .

([5]) ينظر: العبادة في الإسلام واثرها في الفرد والجماعة: علي عبد اللطيف : 69.

وقد دلت أحاديث كثيرة على أن من الأخلاق ما هو فطري، يتفاضل به الناس في أصل تكوينهم الفطري، ومن ذلك:

– ما روى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **((النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ))** وهذا الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، وفيه يثبت الرسول ﷺ أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقاً، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه على جميع أحواله.

– وروي عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا: **((أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ))** في هذا الحديث بيان عن الأمانة في الناس وعما تصير إليه فيهم، فقد أبان الرسول ﷺ حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء.

– وقوله ﷺ للمنذر الأشج: **((إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ))**، قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمُ الله جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: **((بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا))** قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله وَرَسُولُهُ.

مواقف عملية شاهدة على الأخلاق الفطرية:

أ– هذا أبو بكر ﷺ لم يشرب الخمر قط، ولما سئل: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله، فقيل: ولِمَ؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته.

ب– وهذه خديجة رضي الله عنها، حين جاءها رسول الله ﷺ أول نبوءته وهو يقول «**زملوني، زملوني**» قالت: « كَلَّا والله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

ومن خلال المثالين السابقين نلاحظ إن ذلك كان قبل البعثة ومع ذلك كانت هناك آداب وأخلاق متأصلة فيهم وقد أقرها الشرع فيما بعد، مثل الكرم، وإكرام الضيف وغيره مما اتصف به العرب قبل البعثة .

ج- وحين بايع رسول الله ﷺ النساء قال لهند بنت عتبة: **((أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقِي، وَلا تَزْنِي))**، قَالَتْ: أَوَتَزْنِي الْحُرَّةُ؟ فسؤالها يدل على أنفة وعفة وطهارة، وتلك هي الفطرة السوية التي فطرهن الله عليها تعرف الحق، وتتجه للخير. والفطرة حين تسلم من العوارض المشوشة عليها، والتأثيرات المخدرة لها وتسقط عنها الحوائل، فإنها عندئذ تستقيم لربها وتعرف الحق، وتدعو إلى كل خلق جميل.

الثاني:الأخلاق المكتسبة:

فكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كما أن كل إنسان عاقل يستطيع بما وهبه الله من استعداد عام أن يتعلم نسبة من العلوم، والفنون وأن يكتسب مقداراً ما من أي مهارة عملية من المهارات.

وتفاوت الاستعداد والطبائع لا ينافى وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية، وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الربانية العامة، ثم ترتقي من بعده مسؤوليات الأفراد بحسب ما وهب الله كلاً منهم من فطر، وبحسب ما وهب كلاً منهم من استعدادات خاصة. ووفق هذا الأساس، وضع الإسلام قواعد التربية على الأخلاق الفاضلة.

آ ه لي بئ لآ خ لا ق غى ة ق ي ف ك ز ع ئ ع ك ف ن خ ك ل ا ج ة ل ظ

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا وجود مجتمع

من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقدير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم.

ويتجلى دور الاخلاق حياة الفرد والمجتمع من خلال الأمور الآتية:

أ- الأخلاق لها قدرة هائلة على تهذيب النفوس ونشر الفضائل الاجتماعية وتكوين الأفراد الصالحين بما يحقق عدم الإفساد بالاعتداء على حقوق الآخرين، وذلك لما لها من سلطان على النفوس ودورها في التربية العملية للمجتمع بما يضمن سلامة الجميع من المخاطر[1]، وبذلك تكون الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم؛ لأنها تعصم أبناءها من التصرفات السيئة[2].

ب-الأخلاق الفاضلة التي حثَّ عليها الدين الاسلامي من شأنها أن تزيد المسلمين تماسكا وترابطا وتراحما ومودة[3]، إذ دعا الإسلام غلى أخوة الدين بقوله تعالى: ﴿ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅۉ ۉ ې ې ې ﴾ [4]، ولتعزيز هذه الروابط حذر

([1]) ينظر: الإسلام والتنمية الاجتماعية: محسن عبد الحميد : 147.

([2]) ينظر: النظم الإسلامية: البياتي، : 203، والأخلاق من أهم دعائم الأمن واستقراره: شوكت محمد عليان، مجلة الأمن والحياة، العدد(187)، لسنة 1418هـ: 54

([3]) ينظر: العبادة في الإسلام واثرها في الفرد والجماعة :علي عبد اللطيف : 284.

([4]) سورة الحجرات: الآية :10.

الشارع من أي فعل أو قول من شأنه أن يزعزع الأمن النفسي أو الجسدي للفرد، ومن ذلك قوله (ﷺ) : "**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**"[1]، إن هذه الوصايا تأمين شامل، يبث في المجتمع السلام والطمأنينة[2].

ج-الوحدة والتماسك والترابط الاجتماعي من مستلزمات البناء الاجتماعي، وذلك لأن الروابط الاجتماعية نوعان: قواعد يلتزم بها المسلم، والآخر آفات يعالجها الإسلام لتحل محلها قواعد البناء[3]، وفي علاج الأخلاق السيئة والتمسك بالأخلاق الحسنة تحقيق للسعادة الدنيوية.

د-إنّ كف الأذى عن الآخرين يدخل ضمن العدل وكظم الغيظ، وأن القاعدة في ذلك كله قوله (ﷺ): ((**لا ضرر ولا ضرار**))[4]، إذ تندرج تحتها جملة من الأمور، كلها تدفع نحو رفع الحرج والأذى بكل أنواعه عن المجتمع أفرادا وجماعات، يقول الآمدي* (رحمه الله تعالى) في معنى الحديث: (هو عام في كل حرج وضرار ضرورة

([1]) صحيح مسلم: كتاب الآداب ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم: 33/8 برقم (6832).

([2]) ينظر: خلق المسلم: محمد الغزالي: 177.

([3]) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: محمد السيد الوكيل، دار الوفاء القاهرة، ط2، 1989م: 137.

([4]) مسند الامام احمد: 55/5،برقم (2865)،مسند ابن عباس رضي الله عنه، وسنن ابن ماجه، 432/3،برقم (2345)،باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، قال شعيب الارنؤوط: صحيح لغيره، والمستدرك على الصحيحين: 66/2 برقم (2345) وقال حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

* الآمدي :علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها عام 551 هـ، توفي سنة 631 هـ، له نحو عشرين مصنفا، منها " الإحكام في أصول الأحكام ينظر: الاعلام للزركلي:: 332/4 .

كونه نكرة في سياق النفي)[1]، ويقول الشاطبي(رحمه الله تعالى): (فإن الضرر والضرار مثبوت منعه في الشريعة كلها في وقائع جزئيات وقواعد كليات... ومنه: النهي عن التعدي على النفوس والأموال والأعراض وعن الغصب والظلم وكل ما هو في المعنى إضرار أو ضرار)[2]، وقال الباجي في المنتقى*: (ويحتمل عندي أن يكون معنى الضرر أن يضر أحد الجارين بجاره، والضرار أن يضر كل واحد منهما بصاحبه)[3]. ولذلك فأي أذى يمكن أن يحدثه الجار بجاره كإحداث الفرن الذي يؤذي القريب منه بدخانه وناره فإنه ممنوع وغير جائز[4]. ويندرج تحت هذه القاعدة الأذى بالرائحة الكريهة لقوله (ﷺ): ((من أكل من هذه الشجرة –يعني الثوم– فلا يأتين المساجد))[5]، وهذا الدليل هو الأصل في منع الروائح الكريهة في البيئة الصغيرة «المسجد»، أو الصادرة من معمل أو مصنع؛ لأنه يعرض حياة عموم الناس للتلوث بالغازات السامة المنبعثة من نفايات المعامل، مما يعرض المدن للدمار بما يهدد الأمن البيئي[6].

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي الآمدي (ت 631هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، بلا.ت: 229/4.

(2) الموافقات :الشاطبي : 15/2.

* الباجي :وهو ابو الوليد الاندلسي القرطبي سليمان بن خلف بن سعد ايوب، ولد عام 403هـ،توفي 474هـ، ومن كتبه المنتقى في الفقه وينظر: الوافي بالوفيات، 230/10

(3) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت 799هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1986م: 348/2.

(4) ينظر: الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف «بشرح ميارة»: أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي (ت 1072هـ)، دار المعرفة ، بلا ت: 244/2.

(5) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها من حضور المسجد: 79/2 برقم (1276).

(6) ينظر: الأمن الاجتماعي وتخطيط المدينة العربية الإسلامية: محمد حيدر عبد الرزاق، مجلة الأمن والحياة، العدد(226)، لسنة 1422هـ: 55–56.

هـ- الفضائل الشخصية هي التي تنظم حياة الفرد كالصبر والعفة والشجاعة والعدل، وتجعل قواه وملكاته في حالة توازن وتعادل، وأن الفضائل الاجتماعية هي التي تجعل المرء في حالة وفاق مع غيره من الناس، لذا فمن دون الفضائل الشخصية لا يمكن تحقيق الخير المجتمع، ومن دون الفضائل الاجتماعية تلحق الأضرار والمفاسد بالأفراد[1].

و- صلاح المجتمع يكون بصلاح النفوس فبصلاحها يعم السلام والامان قال محمد الغزالي(رحمه الله تعالى): (اذا لم تصلح النفوس اظلمت الافاق وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم) [2].

ي-إنّ مقياس الأخلاق الإسلامية في الحياة الإنسانية هو خشية الله تعالى التي تحث على الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي، مما يجعل الأخلاق مهيمنة على نظام الحياة بما ينهض بكيان المجتمع، وبذلك يضمن تحقيق الجوانب الوقائية في المجتمع لمنع وقوع الجرائم[3]، وذلك لأن الضابط الأخلاقي يقوم بصياغة الأفراد صياغة أخلاقية تقودهم نحو المثل العليا[4]، إذ إنّ السلف الصالح (رضي الله عنهم) قد اتخذ من الاخلاق الفاضلة التي جاء بها الاسلام منهجا عمليا في حياتهم، فتحقق لهم الامن والاستقرار وفي هذا يقول سيد سابق(رحمه الله تعالى): " وهذه هي المعاني الطيبة التي جاء بها الاسلام والتي اتخذها سلفنا الصالح منهجا عمليا لسلوكهم، فعاشوا في ظلها سعداء امنيين "[5].

([1]) ينظر: الفضائل الإسلامية وأمن المجتمع: أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة الأمن والحياة العدد(191)، لسنة 1419هـ: 31.

([2]) خلق المسلم: محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط21، 2004م:75

([3]) ينظر: الأخلاق وأثرها في الوقاية من الجريمة: شوكت محمد عليان، مجلة الأمن والحياة، العدد(167)، لسنة 1417هـ: 57.

([4]) ينظر: النظم الإسلامية: البياتي : 8.

([5]) دعوة الاسلام: السيد سابق : 83

، لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقا لها وهي ليست أسساً ومعايير وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه.

لمه ثطلق نه م غى طكاتهدجي نـ طكة نظي بـ عكـوى الآخلاف

إنَّ منهج الإسلام في تكوين القيم الخلقية يتأتى كما يلي: باستطلاع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تطالعنا طريقة فذة في معالجة القيم الخلقية من حيث تكوينها لدى الفرد المسلم والجماعة المسلمة. وقد أتى الإسلام لا ليصطدم مع الطبيعة البشرية بل ليضبطها، ويفجر أحسن ما فيها، وقد أقام السلوك على أساس خلقي ضابط بوعي واختيار واع وذلك كما يلي:

1- اهتم القرآن الكريم في مرحلته المكية ببناء الإيمان في نفوس الناس، والدعوة إليه بكافة الوسائل، وذلك بلفت النظر إلى خلق الله، والتأمل فيه، للاستدلال على الخالق ﷻ والإيمان به، والتصديق بما أنزله على رسوله ﷺ .

وقد عرضت الآيات الواردة في هذا المجال: سنة الله في الأسباب والمسببات، سنة الله في جزاء من اتبع هداه، سنة الله في حال الإعراض عنه، سنة الله في التدافع بين الحق والباطل، سنة الله في الابتلاء والفتنة، سنة الله في الظلم والظالمين، سنة الله في الترف والمترفين، سنة الله في الطغاة والطغيان، سنة الله في بطر النعمة وتغييرها، سنة الله في الذنوب والسيئات، سنة الله في الاستدراج. وغير ذلك من سنن عرضها القرآن في قصصه أو في آيات منفصلة، بهدف تعريف الناس بكيفية السلوك الصحيح في الحياة، حتى لا يقع الإنسان في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة.

إنها الدعوة الكاملة إلى الإيمان الكامل الصحيح، وقد يصاحب بيان ذلك في الآيات ذكر الجنة والنار، والثواب والعقاب، ليحرك في النفس عاطفة الخوف والإحساس بالأمن، وهو في ذلك يريد أن يحرك في الإنسان الإحساس بالأمان

النفسي والشعور بالحماية الإلهية في ظل الإيمان، وفي الوقت نفسه يعطيه الثقة بنفسه، وبأنه مكرم ومؤهل لحمل أمانة الوجود، وحمل أمانة التكليف.

فهي تستثير في الإنسان أقصى طاقاته الإنسانية لتسمو بها وتضعها على الطريق السوي السليم المنشود من الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾، وقال سبحانه : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** ﴾، وقال ﷻ : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾، وتحويل الإنسان من التبعية الذليلة في كل شيء من جنبات حياته للطواغيت الكفرة والفجرة، إلى آفاق العزة والكرامة وتحقيق الإنسانية الكريمة وذلك ببث روح القوة والتخلص من العجز والاتكالية ، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾.

2- وقد صحح القرآن علاقة الإنسان بما حوله بأن جعلها علاقة تعاطف وتعارف، فلا عبودية لها ولا تأليه، ولا استهانة ولا إنكار، وقد ربى القرآن الإنسان على حضور واع، واتخذ في هذا السبيل طرقاً مختلفة لعملية التصحيح هذه، وهي لازمة لتكوين قيم صحيحة سليمة، وكان أول ما قام به هو تصحيح علاقة الإنسان بالله الخالق الراعي لخلقه المعتنى بهم، الرحيم، المبدع، التواب. وهو الواحد؛ غرس في نفس المسلم التوحيد، الذي دفع الإنسان إلى حب الخير وفعله، وتجنب الشر وكراهيته، وبالتالي كانت العلاقة بين الإنسان والله طريق الإنسان إلى الكمال، وكانت طريقا إلى امتلاء قلب الإنسان بالولاء والانتماء إلى الله وحده، ومنهجه الذي إذا تمسك به الإنسان أصبح إنساناً فاضلاً يسارع إلى فعل الخيرات، ويبتعد عن فعل الشر، وبالتالي يتصف الإنسان بمكارم الأخلاق، ويتشبه بأخلاق الله تعالى من حيث الاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص، ويصبح مجتمعه كله ذا أخلاق دينية، تسوده مكارم الأخلاق.

وكان ذلك منطلقاً لتصحيح كافة العلاقات الأخرى بما حول الإنسان ومن حوله، وما دام الإنسان قد آمن موحداً وتولدت في نفسه حالة العبودية الكاملة لله وحده، فإن ذلك ينعكس على علاقاته بالأشياء حوله، وعلى كافة مكونات حياته؛ ذلك أن الإيمان الصحيح هو أكبر القيم الخلقية الدافعة للإنسان في مجرى الحياة الصحيح الموصل للسعادة.

ومن هنا تنبع مجموعة من القيم الخلقية الفذة النابعة من توجيه التوحيد، كحالة نفسية، وضرورية للتعايش مع الكون والعالم ومصادقة قوى الطبيعة، ودراستها وفهمها، واكتشاف أسرارها لتضفي قيمة عليا على العلم والبحث العلمي بالمعنى الواسع للكلمة.

ثم هو لا يذوب في الطبيعة المادية ولا يعاديها، لكنه لا بد أن ينفصل عنها إلى عالم التوحيد المطلق والمجرد، فالطبيعة ليست مقصودة لذاتها، وهي ليست ثابتة، بل هي متغيرة ومتقلبة، ومن حق المسلم أن يتجاوزها بعد أن يكتشف فيها لغة التسبيح لله . وفي هذا الذي أقره الإسلام ووجه إليه تحقيق سام لإنسانية الإنسان، لأن الإنسان بهذا يتحرر من عبودية أي شيء سوى الله تعالى، ويتخلص من قلقه المرضي؛ لأن المنهج الإسلامي يضع الإنسان حيث يجب أن يوضع، مخلوقاً ذا رسالة سامية في هذه الحياة.

3- وصحح القرآن علاقة الإنسان مع نفسه ثم مع من حوله من الناس، وذلك بعد أن ضبط حركته بقيم خلفية معينة تجاه الخالق والأشياء، والآيات المدنية تأتي لبناء الإرادة الإنسانية وتكوين القيم السليمة لعلاقات الإنسان بنفسه، وبالإنسان في مجتمعه، وللجماعة كلها بعد أن قام البناء الإيماني في نفس المسلم.

وكثيرة هي تلك القيم الفاسدة التي كانت موجودة عند العرب وفي العالم، واستطاع الإسلام بتوجيهاته أن يقضي عليها، ويحولها إلى قيم إيجابية صحيحة على أساس من الإيمان الصحيح الخالي من الشوائب.

وقد اهتم القرآن الكريم كثيراً بتوضيح الانحرافات الخلقية التي يمكن أن توجد في المجتمع المسلم، فاهتم بإيضاح حقيقة النفاق وعدّها انحرافاً نفسياً يسهل الوقوع فيه؛ لأن الإنسان المسلم تحت الظروف المستبدة قد يعيش حالة مزيفة، إنه يصبح ضد نفسه أحياناً، ويحبس حركتها الحرة في التنقل من حالة إلى حالة، ويوقف تيارها الداخلي وهذا مرض نفسي، يجمد حركة الإنسان، ويحرمه من الحركة الحية، ويصيبه بالخواء والزيف والخداع، وقد صور القرآن حالة المنافقين في آيات كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً** ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾.
- وقوله ﷻ: ﴿ **وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** ﴾.
- وقوله ﷻ: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ* صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ* أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ* يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾.

إن القرآن يعرض النفاق كطبيعة منحرفة وسلوك مريض، ويشخص هذا المرض ويحلله ويتحدث عنه باستفاضة وعن مضاعفاته ونتائجه، وقصده من ذلك التحذير منه، ومن النتائج الخطيرة التي تترتب عليه، فهي نتائج تصيب الإنسان في وجوده الذي يرتبط بالصدق والحرية والتجدد، فيتحول وجوده إلى زيف وجمود وهراء.

ومن هذا المنطلق حارب البخل والجبن في نفس الإنسان، وحارب التواكل الذي يحيل الإنسان إلى طفل لا يستنفر ذاته، وإنما يعتمد على الآخرين في حل مشكلاته،

وفي حربه تلك يجعل المسلم يجابه الواقع ويتحمل المسئولية، ويبتعد عن كل شيء يصادر تلك المسئولية.

لقد علم الإسلام المسلم أن يؤمن بوجود قوة عليا، وأن يستفيد من إمكانياته واستعداده للإيمان بالغيبيات فضبطها، بحيث لا يصل إلى التصادم مع الأسباب والمسببات. وعلمه القرآن أن الحق يبطل السحر، وأنه ليس بإمكان أحد أن يضره إلا بإذن الله، وأن التلصص على السماء لسماع الغيب قد بطل منذ بعثة النبي ﷺ، وأن الشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن له الرحمن ﷻ، وقد كان ذلك كله إيذاناً بتصحيح علاقة الإنسان بنفسه، فلا يخور ولا يجبن ولا ينافق ولا يدع الأسباب. وكان أيضاً إيذاناً بتصحيح علاقة الإنسان مع الآخرين، وانطلق المسلم بالدعوة الإسلامية إلى مرحلة العالمية.

4- وأتم رسول الله ﷺ بناء القيم الخلقية في النفوس المسلمة، وكانت طريقته في ذلك أبدع ما تكون الطريقة، وأساليبه أشهر ما تكون وأعظم، في ضربه المثل الأعلى والقدوة الصالحة من ذاته، في نفسه، وفي مجالسه، وتوجيهاته، وأفعاله، وأقواله، وباستخدام كافة الطرق لاستثارة إمكانيات الإنسان من أجل أن تمثل القيم الخلقية، والأمثلة على ذلك كثيرة في مواقف الرسول ﷺ، نذكر منها على سبيل المثال ما يتعلق بمجلسه ﷺ، فقد كان، كما جاء في حديث هند بن أبي هالة: «مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبّن فيه الحرم، ولا تثنى فلتأته، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ».

ولا عجب أن نجد في أثناء حياته ﷺ وبعدها مجتمعاً إسلامياً ملتزماً، وفرداً مسلماً ملتزماً توجهه قيم خلقية صحيحة في كافة نواحي سلوكه المختلفة. ونجد الأفراد في المجتمع الإسلامي أصحاء أزكياء مبدعين ملتزمين بالإسلام.

يتلآخ ا لظئ﴾ ﷻ هنزلك ﷺ هخّقُ ﷺ

قال ابن القيّم (رحمه الله): والأدب ثلاثة أنواع: أدب مع الله ﷻ، وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه، وأدب مع خَلْقِهِ.

أولا: الأدب مع الله ﷻ:

الأدب مع المولى تبارك وتعالى ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثّاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثّالث: صيانة إرادته أن تتعلّق بما يمقتك عليه.

فالأدب مع الله ﷻ حسن الصّحبة معه، بإيقاع الحركات الظّاهرة والباطنة على مقتضى التّعظيم والإجلال والحياء.

وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل. ولهذا كان الأدب: استخراج ما في الطّبيعة من الكمال من القوّة إلى الفعل.

فإنّ الله سبحانه هيّأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهليّة والاستعداد، الّتي جعلها فيه كامنة كالنّار في الزّناد. فألهمه ومكّنه، وعرّفه وأرشده. وأرسل إليه رسله. وأنزل إليه كتبه لاستخراج تلك القوّة الّتي أهّله بها لكماله إلى الفعل. قال الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها** ﴾.

فعبّر عن خلق النّفس بالتّسوية والدّلالة على الاعتدال والتّمام. ثمّ أخبر عن قبولها للفجور والتّقوى. وأنّ ذلك نالها منه امتحاناً واختباراً. ثمّ خصّ بالفلاح من زكّاها فنمّاها وعلّاها ورفعها بآدابه الّتي أدّب بها رسله وأنبياءه وأولياءه، وهي التّقوى، ثمّ حكم بالشّقاء على من دسّاها، فأخفاها وحقّرها، وصغّرها وقمعها بالفجور. والله سبحانه وتعالى أعلم.

مثال من أدب الرسول ﷺ مع الله ﷻ:

جرت عادة القوم: أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيّه ﷺ، حين أراه ما أراه ﴿ **ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى** ﴾، وصدّر باب الأدب بهذه الآية.

وكأنّهم نظروا إلى قول من قال من أهل التّفسير:

إنّ هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانباً، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب، والإخلال به: أن يلتفت النّاظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلّع أمام المنظور. فالالتفات زيغ، والتّطلّع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال النّاظر على المنظور: أن لا يصرف بصره عن يمنة ولا يسرة ولا يتجاوزه.

والمقصود أنّ الأدب مع الله تعالى: هو القيام بدينه، والتّأدّب بآدابه، ظاهراً وباطناً. ولا يستقيم لأحد قطّ الأدب مع الله تعالى إلّا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحبّ وما يكره، ونفس مستعدّة قابلة ليّنة متهيّئة لقبول الحقّ علماً وعملاً وحالاً .

ومن الأدب مع الله تعالى، التّأدّب مع القرآن وتلاوته، ﴿ **وتدبّره أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾، لأنّ في ذلك العلم والمعرفة بما أمر به الله ﷻ ونهى عنه وتعظيم شعائره وعدم انتهاك محارمه. كذلك فإنّه أفضل السّبل وأقربها إلى الثّراء الرّوحيّ، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾.

ومن الأدب مع الله التّوجّه إليه سبحانه بالدّعاء، قال تعالى: ﴿ **قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً** ﴾. وغير ذلك.

ثانيا: الأدب مع الرسول ﷺ:

أمّا الأدب مع رسول الله ﷺ فيعني كمال التّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقّي خبره بالقبول والتّصديق.

من مظاهر الأدب مع المصطفى ﷺ:

من الأدب مع الرّسول الكريم أن لا يتقدّم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرّف حتّى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا**

تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ، فالتّقدّم بين يدي سنّته بعد وفاته كالتّقدّم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

وقال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تقدّم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجلوا بالأمر والنّهي دونه. وقال غيره: لا تأمروا حتّى يأمر، ولا تنهوا حتّى ينهي.

ومن الأدب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته. فإنّه سبب لحبوط الأعمال فما الظّنّ برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنّته وما جاء به؟ أترى ذلك موجباً لقبول الأعمال. ورفع الصّوت فوق صوته موجب لحبوطها؟

ومن الأدب معه: أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾.

ومن الأدب معه: أنّهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة، أو جهاد، أو رباط لم يذهب أحد منهم مذهباً في حاجته حتّى يستأذنه. كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ** ﴾.

ومن الأدب معه: أن لا يستشكل قوله. بل ورأس الأدب معهﷺ: كمال التّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقّي خبره بالقبول والتّصديق، دون أن يحمّله معارض خيال باطل، يسمّيه معقولا أو يحمّله شبهة أو شكّا، أو يقدّم عليه آراء الرّجال، فيفرده بالتّحكيم والتّسليم، والانقياد والإذعان ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظّمه، فإن أذنوا له نفّذه وقبل خبره، وإلّا أعرض عن أمره وخبره وفوّضه إليهم، وربّما حرّفه عن مواضعه وسمّى تحريفه: تأويلاً، وحملاً،. فقال: نؤوّله ونحمله. ولأن يلقى العبد ربّه بكلّ ذنب على الإطلاق عدا الشّرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

يقول ابن القيّم: ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء، فقلت له: سألتك بالله، لو قدّر أنّ رسول الله ﷺ حيّ بين أظهرنا، وقد واجهنا بكلامه وبخطابه: أكان فرضاً علينا أن نتّبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره كلامه ومذهبه، أم لا نتّبعه حتّى

نعرض ما سمعناه منه على آراء النّاس وعقولهم؟ فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

فقلت: فما الّذي نسخ هذا الفرض عنّا؟ وبأيّ شيء نسخ؟ فوضع إصبعه على فيه. وبقي باهتاً متحيّراً. وما نطق بكلمة.

وإذا كان من الأدب في حياته ﷺ ألّا نرفع أصواتنا فوق صوت النّبيّ لقوله ﷻ: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾، فإنّ من الأدب معه ألّا نرفع الأصوات فوق صوتهﷺ. فإنّه سبب لحبوط الأعمال فما الظّنّ برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنّته وما جاء به؟

هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ لا مخالفة أمره وإشراك غيره ورفع الأصوات.

ثالثا: الأدب مع الخلق:

وأمّا الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم، فلكلّ مرتبة أدب.

والمراتب فيها أدب خاصّ. فمع الوالدين: أدب خاصّ للأب منهما أدب هو أخصّ به، ومع العالم: أدب آخر، ومع السّلطان: أدب يليق به وله ومع الأقران أدب يليق بهم. ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه. ومع الضّيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته.

ولكلّ حال أدب: فللأكل آداب. وللشّراب آداب. وللرّكوب والدّخول والخروج والسّفر والإقامة والنّوم آداب. وللتّبوّل آداب. وللكلام آداب.وللسّكون والاستماع آداب.

وآداب المرء: عنوان سعادته وفلاحه. وقلّة أدبه: عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خير الدّنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلّة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نجّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصّخرة؟

وتأمّل أحوال كلّ شقيّ ومفتر ومدبر: كيف تجد قلّة الأدب هي الّتي ساقته إلى الحرمان؟ .

إنّ حسن الخلق والأدب هو مقام الاقتداء برسول الله ﷺ وإتباع سنّته بفضل من الله ﷻ القائل في كتابه: ﴿ **لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا**﴾، وهو الّذي أمرنا بذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿ **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ .

إنّ هذا هو مقام من أراد التّخلّق بأخلاق الشّرع الحنيف وتأدّب بآداب الله الّتي أدّب بها عباده في كتابه الكريم، وما اتّصف به الرّسول الكريمﷺ.

آلى لجئلإ تهئلآخلاف

أولاً : الأخلاق الفردية :

1-الإخلاص:

تعريفه: قال الكفويّ: « الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السّرّ والقول والعمل ». وقال المناويّ الإخلاص: « تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصاً. وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التّهمة والخلل ».

الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجانيّ: الفرق بين الإخلاص والصّدق: « أنّ الصّدق أصل وهو الأوّل: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أنّ الإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في العمل، أمّا الصّدق فيكون بالنّيّة قبل الدّخول فيه ».

صور الإخلاص ومظاهره :

إنّ للإخلاص صوراً متعدّدة تتمثّل فيما يلي:

1- الإخلاص في التّوحيد.

2- الإخلاص في النّيّة والقصد.

3- الإخلاص في العبادات: الصّلاة، السّجود، الصّيام، قيام رمضان، قيام ليلة القدر، حبّ المساجد، الزّكاة، الصّدقة، الحجّ، الجهاد، التّوبة، والذّكر، والاستغفار، والدّعاء، وقراءة القرآن، وسائر القربات.

4- الإخلاص في الأقوال كلّها.

5- الإخلاص في الالتزام بمكارم الأخلاق، (كالصّدق، الصّبر، الزّهد، والتّواضع ... الخ) .

6- الإخلاص في التّوكّل على الله تعالى.

7- الإخلاص في كافّة الأعمال.

2- الصدق :

تعريفه: قال الجرجانيّ: « مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدّ الكذب ».

مجالات الصدق:

قال ابن القيّم (رحمه الله): « والصّدق ثلاثة: قول وعمل وحال.

فالصّدق في الأقوال: استواء اللّسان على الأقوال كاستواء السّنبلة على ساقها.

والصّدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرّأس على الجسد.

والصّدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطّاقة.

فبذلك يكون العبد من الّذين جاءوا بالصّدق. وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدّيقيّته. كما فعل أبو بكر رضي الله عنه».

والصّدّيقون: قوم دون الأنبياء في الفضيلة، ولكنّ درجتهم ثاني درجة النّبيّين.

فضل الصدق وأثره:

أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصّادقين، وخصّص المنعم عليهم بالنّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، فقال: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ ، وقال: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ**

اللَّـهُ عَلَـيْهِمْ مِـنَ النَّبِيِّـينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَداءِ وَالصَّـالِحِينَ ﴾ ، فهم أهل الرّفيق الأعلى، وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ولا يزال الله يمدّهم بنعمه وألطافه، ويزيدهم إحساناً منه وتوفيقاً، ولهم مزيّة المعيّة مع الله، فإنّ الله تعالى مع الصّادقين. وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان، والإسلام، والصّدقة، والصّبر، وبأنّهم أهل الصّدق فقال: ﴿ **وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾، إلى قوله: ﴿ **أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ ، وهذا صريح في أنّ الصّدق بالأعمال الظّاهرة والباطنة، وأنّ الصّدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسّم سبحانه النّاس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿ **لِيَجْزِيَ اللَّـهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ .

والإيمان أساسه الصّدق، والنّفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلّا وأحدهما يحارب الآخر. وأخبر سبحانه أنّه في القيامة لا ينفع العبد وينجّيه من عذابه إلّا صدقه، فقال تعالى: ﴿ **هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾، وقال: ﴿ **وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ ۞ لِيُكَفِّرَ اللَّـهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، والّذي جاء بالصّدق هو من شأنه الصّدق في قوله، وعمله، وحاله.

3- الصبر :

تعريفه: قال الرّاغب: هو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشّرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه. وقيل: هو حبس النّفس عن الجزع والتّسخّط، وحبس اللّسان عن الشّكوى، وحبس الجوارح عن التّشويش. وقيل: هو ترك الشّكوى من ألم البلوى لغير الله إلّا إلى الله؛ لأنّ الله تعالى أثنى على أيّوب عليه السلام بالصّبر بقوله : ﴿ **إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً** ﴾، مع دعائه في دفع الضّرّ عنه بقوله : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي**

مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾، فعلم أنّ العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضّرّ عنه لا يقدح في صبره .

أنواع الصبر:

قال أبو عمر: سألت الحليميّ عن الصّبر، قال: ثلاثة أنواع: الصّبر على طاعة الجبّار، والصّبر عن معاصي الجبّار، والصّبر على الصّبر على طاعته وترك معصيته .

وقال ابن القيّم: الصّبر باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام: صبر الأوامر والطّاعات حتّى يؤدّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتّى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتّى لا يتسخّطها .

وقال الفيروز أبادي: الصّبر على ثلاثة أنواع:

(1) صبر بالله، (2) صبر مع الله، (3) صبر لله .

أهمية الصبر:

قال ابن تيميّة (رحمه الله): «قد ذكر الله الصّبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً. وقرنه بالصّلاة في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ** ﴾، وجعل الإمامة في الدّين موروثة عن الصّبر واليقين بقوله: ﴿ **وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ** ﴾. فإنّ الدّين كلّه علم بالحقّ وعمل به، والعمل به لا بدّ فيه من الصّبر. بل وطلب علمه يحتاج إلى الصّبر. كما قال معاذ بن جبل ﷺ: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجّد الله ويوحّد، يرفع الله بالعلم أقواماً يجعلهم للنّاس قادة وأئمّة يهتدون بهم وينتمون إلى رأيهم.

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بدّ في الجهاد من الصّبر، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**

وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصار** ﴾.

فالعلم النّافع هو أصل الهدى، والعمل بالحقّ هو الرّشاد، وضدّ الأوّل الضّلال، وضدّ الثّاني الغيّ.

فالضّلال العمل بغير علم، والغيّ إتّباع الهوى، قال تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذا هَوى ۞ ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى** ﴾، فلا ينال الهدى إلّا بالعلم ولا ينال الرّشاد إلّا بالصّبر. ولهذا قال عليّ ﷺ: «ألا إنّ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد، فإذا انقطع الرّأس بان الجسد، ثمّ رفع صوته فقال ألا لا إيمان لمن لا صبر له».

4- الأمانة :

تعريفها: قال الكفويّ: الأمانة: كلّ ما افترض الله تعالى على العباد فهو أمانة كالصّلاة والزّكاة والصّيام وأداء الدّين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كلّ ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة .

وقيل: هي خلق ثابت في النّفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس. وهي أحد الفروع الخلقيّة لحبّ الحقّ وإيثاره وهي ضدّ الخيانة.

وقد ظهر من تعريف الأمانة أنّها تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأوّل: عفّة الأمين عمّا ليس له به حقّ.

الثّاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقّ لغيره.

الثّالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التّفريط بها والتّهاون بشأنها، أي بالأمانة .

مجالات الأمانة:

والمجالات الّتي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها:

الدّين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشّهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار والرّسالات والسّمع والبصر وسائر الحواسّ.

الأمانة في القرآن الكريم:

ذكر ابن الجوزيّ، نقلاً عن بعض المفسّرين أنّ الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرائض، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ** ﴾.

الثّاني: الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها** ﴾.

الثّالث: العفّة (والصّيانة) ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾.

5- التواضع :

تعريفه: إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم .

الفرق بين التواضع والذل والمهانة:

والفرق بين التّواضع والمهانة (أو الذّلّ) أنّ التّواضع يتولّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولّد من ذلك كلّه خلق هو التّواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذّلّ والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقّاً بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله ﷻ من يحبّه ويكرّمه ويقرّبه .

وأمّا المهانة (الذّلّ) فهي الدّناءة والخسّة وبذل النّفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السّفل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كلّ حظّ لمن يرجو نيل حظّه منه فهذا كلّه ضعة لا تواضع والله سبحانه يحبّ التّواضع ويبغض الضّعة والمهانة .

والتّواضع المحمود على نوعين:-

النّوع الأوّل:

تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند نهيه اجتناباً فإنّ النّفس لطلب الرّاحة تتلكأ في أمره فيبدو منها نوع إباء وشرود هرباً من العبوديّة وتثبت عند نهيه طلباً للظّفر بما منع منه، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبوديّة.

والنّوع الثّاني:

تواضع لعظمة الرّبّ وجلاله وخضوعه لعزّته وكبريائه فكلّما شمخت نفسه ذكر عظمة الرّبّ تعالى وتفرّده بذلك وغضبه الشّديد على من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه واطمأنّ لهيبته، وأخبت لسلطانه، فهذا غاية التّواضع، وهو يستلزم الأوّل من غير عكس، والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين معاً .

الآيات الواردة في التواضع :

1- قوله تعالى: ﴿ **فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾.

2- وقوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

3- وقوله تعالى: ﴿ **لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

4- وقوله تعالى: ﴿ **وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً** ﴾ .

5- وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا** ﴾ .

6- وقوله تعالى: ﴿ **وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً** ﴾ .

7- وقوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

8- وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ** ﴾ .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (التواضع) :

1- عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: أحبّوا المساكين فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «**اللهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**» .

3- عن أنس بن مالك ﷺ أنّ جدّته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثمّ قال: «**قوموا فلأصلِّ لكم**» ، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودّ من طول ما لبس فنضحته بماء فقام عليه رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا فصلّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثمّ انصرف.

6- التوكل على الله تعالى :

تعريف التوكل: « هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه » .

وقال الجرجاني: « التّوكّل هو الثّقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي النّاس » .

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

قال ابن قيّم الجوزيّة: « التّوكّل من أعظم الأسباب الّتي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التّوكّل. ولكن من تمام التّوكّل: عدم الرّكون إلى الأسباب. وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها. فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه.

والتّوكّل متعلّق بربوبيّته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبوديّة الأسباب إلّا على ساق التّوكّل ولا يقوم ساق التّوكّل إلّا على قدم العبوديّة » .

مواطن التوكل:

إنّ التّوكّل على الله ﷻ مطلوب في كلّ شئون الحياة، بيد أنّ هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحضّ على التّوكّل والأمر به للمصطفى ﷺ والمؤمنين، وقد ذكر الفيروز آباديّ من ذلك:

1- إن طلبتم النّصر والفرج فتوكّلوا عليه: ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ .

2- إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التّوكّل: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ .

3- إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التّوكّل: ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ** ﴾ .

4- إذا تلي القرآن عليك أو تلوته فاستند على التّوكّل: ﴿ **وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ .

5- إذا طلبت الصّلح والإصلاح بين قوم لا تتوسّل إلى ذلك إلّا بالتّوكّل: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ .

6- إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتّوكّل: ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

7- العفة :

تعريفها: قال الرّاغب: « العفّة حصول حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة، والمتعفّف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر ».

وقال الكفويّ: العفّة هي الكفّ عمّا لا يحلّ .

أنواع العفة:

العفّة نوعان:

أحدهما : العفّة عن المحارم، **والثّاني** : العفّة عن المآثم، فأمّا العفّة عن المحارم، فنوعان: **أحدهما** : ضبط الفرج عن الحرام، **والثّاني** : كفّ اللّسان عن الأعراض، وأمّا العفّة عن المآثم فنوعان أيضا: **أحدهما:** الكفّ عن المجاهرة بالظّلم، **والثّاني:** زجر النّفس عن الإسرار بخيانة .

تمام العفة:

لا يكون الإنسان تامّ العفّة حتّى يكون عفيف اليد واللّسان والسّمع والبصر فمن عدمها في اللّسان السّخرية، والتّجسّس والغيبة والهمز والنّميمة والتّنابز بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مدّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدّنيا المولّدة للشّهوات الرّديئة، ومن عدمها في السّمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة.

وعماد عفّة الجوارح كلّها ألا يطلقها صاحبها في شيء ممّا يختصّ بكلّ واحد منها إلّا فيما يسوّغه العقل والشّرع دون الشّهوة والهوى .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (العفة) :

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إنّي لأنقلب إلى أهلي فأجد التّمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لآكلها ثمّ أخشى أن تكون صدقة فألقيها**» .

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً، قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما، تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ : «**كخ كخ**» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة**».

وعن أنس بن مالك ﷺ أنّه قال: مرّ النّبيّ ﷺ بتمرة في الطّريق قال: «**لولا أنّي أخاف أن تكون من الصّدقة لأكلتها**» .

ثانياً : الأخلاق والآداب الاجتماعية :

1- بر الوالدين :

تعريف بر الوالدين: هو الإحسان إلى الوالدين والتّعطّف عليهما والرّفق بهما والرّعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما.

وقد جاء البرّ في القرآن الكريم بمعنى صلة الرّحم أيضاً، قال الله تعالى: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ**﴾. أي تصلوا أرحامكم.

من صور بر الوالدين:

أورد القرطبي (رحمه الله) في تفسيره كلاماً كثيراً مفاده:

1- أنّ الله أمر بعبادته وتوحيده، وجعل برّ الوالدين مقرونا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره، فقال: ﴿**وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً**﴾ ، وقال: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ**﴾.

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنّ برّ الوالدين أفضل الأعمال بعد الصّلاة الّتي هي أعظم دعائم الإسلام.

2- من البرّ بهما والإحسان إليهما ألّا يتعرّض لسبّهما ولا يعقّهما.

3- وعقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما، كما أنّ برّهما موافقتهما على أغراضهما.

وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المندوب.

4- أنّ برّ الوالدين متساو عند بعض الفقهاء الشّافعيّة، والمالكيّة، وبعض الفقهاء يرجّح الأمّ على الأب، وإلى هذا ذهب اللّيث بن سعد والمحاسبيّ في كتابه (الرّعاية).

5- لا يختصّ برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين بل إن كانا كافرين يبرّهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد.

6- من الإحسان إليهما والبرّ بهما إذا لم يتعيّن الجهاد ألّا يجاهد إلّا بإذنهما.

7- ومن تمام البرّ صلة أهل ودّ الوالدين، وكان ﷺ يهدي لصدائق خديجة رضي الله عنها برّاً بها، ووفاء لها وهي زوجته رضي الله عنها فما ظنّك بالوالدين؟

8- وخصّ ربّ العزّة حالة الكبر؛ لأنّها الحالة الّتي يحتاجان فيها إلى البرّ لتغيّر الحال عليهما بالضّعف والكبر، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر ممّا ألزمها من قبل؛ لأنّهما في هذه الحالة قد صارا كلّاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج إليه في صغره أن يليا منه، فلذلك خصّ هذه الحالة بالذّكر.

9- ومن برّهما والإحسان إليهما أن لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿**فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ**﴾ ، وقوله: أفّ للأبوين أردأ شيء لأنّه رفضهما رفض كفر النّعمة، وجحد التّربية وردّ الوصيّة الإلهيّة.

10- أن يتلطّف معهما بقول ليّن لطيف، كريم، وأن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلّة، في أقواله، وسكناته ونظره، ولا يحدّ إليهما بصره؛ فإنّ تلك نظرة الغاضب. وهذا من برّ الوالدين.

11- ومن برّهما التّرحّم عليهما والدّعاء لهما، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيراً، جاهلاً، محتاجاً، فآثراك على أنفسهما وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعرّيا وكسواك، فلا تجزهما إلّا ببرّهما وطاعتهما وحين يبلغان من الكبر الحدّ الّذي كنت فيه من الصّغر، فعليك أن تلي منهما ماوليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التّقدّم .

2- صلة الرحم:

صلة الرَّحِمِ ليست نافلة في حياة المسلم بل هي فرضٌ لازم، قد أوجبه الله تعالى عليه، على اختلاف درجات حقوق الأرحام باختلاف درجات قرابتهم واختلاف أحوالهم. وصلة الرحم تُبارِكُ العمر وتزكّيه، وقطيعة الرحم تُلَطِّخُ حياة الإنسان بالعار وسخط الجبّار وتهوي بصاحبها إلى النار!!

قال الله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾.لقد جمع الله تعالى لقاطع الرحم هذه العقوبات الشنيعة؟!

1- لعنهم الله. 2- فأصمهم. 3- وأعمى أبصارهم. وماذا بعد لَعْن الله له؟! وماذا بعد الصمم؟!وماذا بعد عمى الأبصار؟!.

إن هذه المعصية لم يأذن الله بها شرعاً، شأنها شأن غيرها من المعاصي. إن هذه المعصية يَسْخط الله على صاحبها ويلعنه ويطرده من رحمته، لأن صاحبها حَرَمَ رحمته مَنْ أوجب الله عليه أن يرحمهم من ذوي رحمه، ويقطعه الله لأنه قَطَع الرحم التي حرّم الله عليه أن يقطعها وأوجب عليه أن يصلها. إن هذه المعصية من عقوبتها أن يُحْرم صاحبها الهدى والاستضاءة بالحق، ويُحْرم نعمة إصابة الحق ومعرفته وإتّباعه، ألم تر أن الله أخبر في كتابه أنه يُصِمُّ قاطع الرحم ويعمي بصره؟! ألا تعلم أن السمع والبصر هما الوسيلة التي يتصل بوساطتها الإنسان بالآخرين؟! ألا تَعْلم أن السمع والبصر هما الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحق والهدى والنور فمن فَقَدَ سمعه وبصره لا يستطيع بعد ذلك أن يتلقى شيئاً من الهدى والعلم والمعرفة؟!

وهذا يبيّن لنا خطورة هذه المعصية. ويبين لنا أن هذه المعصية من جملة المعاصي التي يُعاقَبُ صاحبُها بالصرف عن الحق وعن المعرفة والهدى. إن هذا كله يؤكد أن صلة الرحم ليست حقاً للموصول فقط بل هي حقٌ للواصل أيضاً كما أنها حق واجب عليه؛ لأنه متضرر إن لم يفعل، ومنتفع إن فعل حيث تعود عليه صلة الرحم بعواقب الفعل الجميل في الدنيا وفي الآخرة وعند الناس وعند الله تعالى.

وصلة الرحم لله تعالى طاعة لا تتجزأ فمن يقدّر صلة الرحم لله حق قدرها فإنه لا يخصّ بها أحداً دون أحد، كما يفعله بعض الناس اليوم، فيصلون رحماً ويقطعون أخرى، كما أن من كان رحيماً تراه رحيماً بكل من يستحق الرحمة شرعاً دون أن يخص أحداً من مستحقيها ويترك الباقين، أو لا يرحم بعض الناس ويقسو على آخرين، وإلا لكانت تلك الرحمة كرحمة بعض الوحوش بأولادها إلى جانب افتراسها ما سواهم!!. إن الرحمة لا تخص أحداً من مستحقيها، وهكذا صلة الرحم يجب أن تكون، وإلا لكانت صلة البهائم ببعضها.

والصلة أنواع: فهي تكون بالمال، وتكون بالجاه، وتكون بالنصيحة والرأي والمشورة، وبالعمل البدني، وبالزيارة، وبالدعاء، وبالشكر، وبالثناء. ومن الخطأ الفادح أن يُظَن أنها نوع واحد كالمال مثلاً.

وعلى المرء أن يأخذ بهذه الأنواع كلها ويضع كلاً منها في موضعه المناسب حسب حال رَحِمِه وحسب قدرته. ورُبّ مستغن عن المال وهو في أشد الحاجة إلى الرأي أو النصيحة أو المساعدة البدنية. ورُبّ عاجز عن بذل المال ولكنه قادر على الرأي والنصيحة.

وصلة الرحم ليست عملاً يعمله الإنسان مكافأةً أو ينتظر جزاءه من الموصول في الدنيا، كلاّ بل هو عملٌ لله تعالى يبذله لكل مَنْ يستحقه شرعاً. وتقديم الأَوْلى فالأَوْلى في حقوق الأرحام أمرٌ مطلوب من الإنسان عند تزاحم الحقوق، مراعياً في هذا الترتيب درجات الحقوق حسب القرابة، وحسب شدة الحاجة أيضاً، وحسب أحوال الأرحام.

وهذا الخُلُق يحتاج إلى تربية فينبغي أن يُعْنى به المربون. وهذا الخلق يحتاج إلى تَدَرُّبٍ ومران فينبغي أن يُعْنى به المؤمنون المتقون الطامعون في ثواب الله ورضاه الخائفون من عذاب الله وسخطه.

وهذا الخلق يحتاج اكتسابه إلى أن يحاسِبَ المرء نفسَهُ عليه وعلى الأخذ به حتى يصبح خُلُقاً وطبعاً له.

وإن من نِعَم الله علينا أَنْ لم يجعل الصلة مالاً فقط وإنما هي بجميع الأنواع السابق ذكْرها، بل لا تكون في كثيرٍ من الأحيان سوى خُلُقٍ فاضل وأعمالٍ يسيرة.

وإن من نِعَم الله علينا أنْ أوصانا بذوي رحمنا وأوصى ذوي رحمنا بنا ولم يترك علاقتنا هذه لمروءتنا أو مصالحنا أو أمزجتنا أو تقديرنا لحقوق قراباتنا كما هو الحال بالنسبة للبهائم!!

وكم هو مؤثّر في النفس مثل قول الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾.

ومثل ما رواه أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((**إنّ الله خَلَق الخَلْقَ، حتى إذا فَرَغ مِن خَلْقه قالت الرَّحِمُ هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة. قال: نَعَم، أمَا تَرْضين أنْ أَصِلَ مَن وَصَلَكِ وأقْطَع مَن قطعَكِ؟ قالت: بلى ياربِّ. قال: فهو لكِ. قال رسول الله**ﷺ: **فاقرءُوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**)).

وأن قطْع الرحم يتنوّع كتنوّع صلتها فيُقابِل كل نوع من أنواع الصلة نوع من أنواع القطيعة سواء بسواء. فللجنة طريق وللنار طريق ولرضا الله طريق ولسخطه طريق. نسأل الله السداد والتوفيق.

2- **حسن الجوار:**

قال ابن حجر(رحمه الله): واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدوّ، والغريب والبلديّ، والنّافع والضّارّ، والقريب والأجنبيّ والأقرب داراً والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصّفات الأول كلّها ثمّ أكثرها وهلمّ جرّاً إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصّفات الأخرى كذلك، فيعطى كلّ حقّه بحسب حاله.

والجيران: هم الأقارب من المنزل، وأدناهم أولاهم بالإحسان والإكرام، قال تعالى: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخورًا**﴾ ، فأوصى الله بالإحسان إلى الجار القريب والجار البعيد.

وقال النبي ﷺ: **((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره)).**

وقال ﷺ: **((إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك)).**

وقال ﷺ: **((وما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)).**

وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار.

وقال العلماء: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقّان، وجار له ثلاثة حقوق.

فالجار الّذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرّحم، فله حقّ الجوار، وحقّ الإسلام، وحقّ الرّحم.

وأمّا الّذي له حقّان فالجار المسلم. له حقّ الجوار وحقّ الإسلام.

وأمّا الّذي له حقّ واحد فالجار المشرك، وعلى هذا فللجار الكافر مهما كان كفره حقّ الجوار في الإحسان إليه وترك إيذائه.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (حق الجار):

– عن أبي هريرة ﷺ أنّه كان يقول: الله الّذي لا إله إلّا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الّذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلّا ليشبعني، فمرّ فلم يفعل، ثمّ مرّ بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلّا ليشبعني فمرّ فلم يفعل، ثمّ مرّ أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني

وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثمّ قال: **((يا أبا هرّ))** قلت: لبّيك رسول الله، قال:**((الحق))** ، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن له، فدخل فوجد لبناً في قدح، فقال: **((من أين هذا اللّبن؟))** قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة قال: **((أبا هرّ))** قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: **((الحق إلى أهل الصّفّة،** (وهم جيران رسول الله ﷺ إذ كانت صفتهم بالقرب من حجر نساء رسول الله ﷺ) **فادعهم لي))** . قال: وأهل الصّفّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللّبن في أهل الصّفّة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللّبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللّبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: **((يا أبا هرّ))** ، قلت لبّيك يا رسول الله، قال: **((خذ فأعطهم))**، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبيّ ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم فقال: **((أبا هرّ))** ، قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: **((بقيت أنا وأنت))** . قلت: صدقت يا رسول الله، قال: **((اقعد فاشرب))** . فقعدت فشربت. فقال: **((اشرب))**، فشربت، فما زال يقول: **((اشرب))** حتّى قلت: لا والّذي بعثك بالحقّ، ما أجد له مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمّى وشرب الفضلة.

4- التعاون على البر والتقوى:

تعريفه: هو أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله ﷻ وتجنّب معصيته. قال تعالى: **﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾** .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (التعاون على البر والتقوى):

– عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النّبيّ ﷺ يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصّلاة قام إلى الصّلاة.

– وعن عثمان بن عفّان ﷺ أنّه كان يخطب فقال: إنّا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السّفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير.